

فيه تلك الوحشية على حين غرة فان لم تكن سبباً في هلاك راضيه فلا
اقل من ان يكون منها تحت خطر مستمر . انتهى

❦ قيم الرجال ❦

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل جرجس افندي همام

هي القيم بها تعزّز النفوس وتتفاضل الاقدار وهي الاحساب المؤثلة
تحوّل للمرء مطارف حسن الثناء مطرزةً بخالص الاعتبار والكرامات
الادبية يصونها ذووها عن معرة الامتهان ويتجافون بها عن مطارح
الفضاضة والهوان

والقيمة في الاصل هي ثمن الشيء بالتقويم وانما سمي قيمةً لانه يقوم
مقام الشيء . وهذا لا ينطبق على مرادنا اذ لا يصح على ظاهره في الانسان
الا في القبائل المنحلة ايام كانت النخاسة مباحةً لمن شاءها فتباع اشخاصها
كاتباع البهائم والسلع . وانما نريد بالقيمة هنا ما يحسنه المرء من الاعمال
التي تؤول الى مصلحة المجتمع الانساني وتحسين شؤونه الكمالية كما عرفها
الشاعر بقوله

قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه ام اقل

وهي غير المرتبة كما لا يخفى فان المخلوقات المحسوسة على مراتب او
طبقات والانسان اسمها مرتبةً لاختصاصه بهذه النفس الناطقة دونها .
والناس ايضاً على مراتب متفاوتة يتفاضلون على نسبة منزلة هذه النفس
العاقلة من سلم العلم والفضيلة . ولكل امة منهم في المرتبة الواحدة قيمة

تقدّر بمبلغ ما تحسنه من الاعمال المذكورة . وكذلك الافراد في الامة الواحدة فان اهل كل مرتبة منهم يتفاضلون بحسب تلك الاعمال

والناس وان كانوا مشتركين في الفصول المقومة للنوع فلا تستوي مراتبهم في المدارك فهم يتفاضلون في قوة النطق والتمييز ويفترقون في الذكاء وقبول التهذيب ويسمو بعضهم على بعض في الفضائل ومحاسن الاخلاق فأدنى مراتب الانسان متصل باعلى انواع الحيوان كالهنود في العالم الجديد والزنوج ومن يجاورهم من الامم في اواسط افريقيا الذين لا يرتفعون عن طبقة القرّة الا قليلاً . وتتزايد في بعض الامم قوة التمييز والادراك حتى يبلغوا من لطافة الحس وصفاء الذهن مبلغاً يقرّ بهم من طبقة الملائكة فيمعنون في طلب العلوم ويبحثون عن مكنونات اسرار الطبيعة وينالون قواها حتى يذلّوها بقوة الاستنباط والابداع ويسوقوها بين ايديهم صاغرةً ويصنعوا بها عجائب باهرات قد يعدها الجاهل ضرباً من السحر . وهؤلاء هم الامم الحاضرة في اوربا ومن يتصل بهم من سكان مهاجرهم الذين ارتقوا بالسعي الصادق والاجتهاد المتواصل الى اسنى مراتب الانسان

ولا يخفى ان الانسان انما يقوم جوهره بهذه النفس الناطقة وهي حالة بالبدن فهو هيكلها المقدس ومنزلها البديع فلا بد لها من توجيه العناية الى حفظه سالماً . وهذا البدن خلق منتقضاً منحللاً فلا بد له من استمداد الغذاء مكان ما يتخلل منه ودفعاً لما يلحقه من أذى الجوع فيتعين على النفس القيام عليه بتدبير حاجاته التي تكفل اعتدال مزاجه . ولذلك كان اشرف الناس مرتبةً واجلهم شأنًا من انصرف في عمله الى اشرف ما في الانسان

اي الى النفس العاقلة فجعل همه ترويضها في الفضائل وتسديدها في سبل
 الصلاح وتنويرها في امور معادها وغبظتها الخالدة . وهؤلاء هم خدام الدين
 القائمون بامر الارشاد وحث الناس على التقوى والخير والمسالمة والوثام حتى
 يكونوا سعداء في الدنيا سعداء في الآخرة . ويلحق بهم في طبقتهم الحكماء
 وجهابذة العلماء المشتغلون بفنون الحكمة وضروب العلم الدائبون في البحث
 والاستدلال والتدوين والتلقين بحيث يكونون مصابيح للبصائر يخرجونها
 من ظلمات الجهالة الى نور العرفان ويكونون سبباً في توسيع نطاق الحضارة
 والعمران . ويحيى بعد أولئك طبقة الاطباء لان صناعتهم تتعلق بالبدن
 وهو هيكل النفس المقدس الذي تحرص على سلامته وصيانته من عوادي
 الاسقام الناقضة لكيانه فاذا طرأت عليه آفة فرغت بشكواها الى الاطباء
 العارفين باسباب الادواء واعراضها وبالذرائع الواقية والعلاجات الشافية
 فكان الطب لذلك اجل الصنائع نفعاً واحقها بالاعتبار وشرف المنزلة

ثم لما كان الانسان الواحد لا يستقل بتحصيل حاجاته المعاشية لما يقتضيه
 اعدادها من الصنائع المتباينة والاعمال العديدة التي لا تقوم الا بالكثيرين
 كان بحكم الضرورة منقاداً الى الاجتماع والتعاون فاحتشد الناس في القرى
 والمدائن يضافر بعضهم بعضاً وبسطوا ايديهم الى اقتناء الرزق وتأثّل العقار
 وتسابقوا الى اجتلاب المنافع واجتذاب المرافق فاحتاجوا في اجتماعهم هذا
 الى حاكم يفصل بينهم في خصوماتهم ويَزَع قوِيَّهم عن ضعيفهم . ولذلك
 وقعت الحاجة الى الخطط السلطانية واستعمال العمال وانشاء دواوين القضاء
 لفصل النزاع وحمل الناس على النصفه والوقوف عند حدود العدل

والمرء يستأثر بما يحرزه من المكاسب والاموال ويفرغ الطوق في الذود عنه لانه الذخيرة للبدن التي يستمد منها اسباب المعيشة . فهو يدافع من نازعه فيه واذا استضعف نفسه في كف عادية الغريم رافعه الى الحاكم يبتني الانصاف واذا خشي ضياع حقه استنصر بالفقهاء والعارفين بالقوانين والاحكام الشرعية يقيم واحداً منهم مقامه ويفوض اليه امره في المدافعة والمرافعة . ولذلك جاءت منزلة رجال القضاء وسائر من يرجع اليهم في هذه الحال رفيعة عند جمهور الامة بسبب الحاجة اليهم في بسط العدل والمحافظة على الحقوق وكأني بأهل الغرب قد تذهبوا منذ عهد بعيد الى نبالة النفس وخطر ما يتلبس بها في هذا الوجود فالتمسوا لها اسباب السعادة من وجوهها . ولذلك ترى بلادهم حافلة بمعاهد العلم الصحيح يُرضعون فتيانهم وفتياتهم من لبنه وينغدون نفوسهم بما يوافق استعدادهم ويحولونهم على التوسع في المعقولات والتخرج في الرياضيات والطبيعات وعلى الارتياض بالقضائل ومحاسن الآداب . وقد شرطوا لمدارسهم الجامعة ان تشمل كل منها على اربعة اقسام احدها للاهوت والثاني للفنون العالية والثالث للعلوم الطبية والرابع لشريعة البلاد . وكل منها عبارة عن مضمار تراض فيه نفس الطالب في المرتبة التي يرومها فينظر ما يختاره منها ويتلقى فيه الدروس منتسقة احسن انتساق واذا شاء التوسع فأمامه المكاتب الجامعة لاشتات التصانيف مما يتعلق بخطته . وهذه الاقسام الاربعة اي اللاهوت والفنون العالية والطب والشريعة تعرف عندهم بالمهن القانونية

واما سائر مراتب اهل المجتمع كالصنّاع والزُرّاع والتجار من اصحاب

جزئيات الاعمال فان اعمالهم اضافيةٌ تكميليةٌ فلا قيمة لاربابها في انفسهم وان كان المجتمع لا يقوم بدونهم . وانما يكون لاحد هم قيمةٌ اذا اقترن عملهُ بشيءٍ من الاربعة المذكورة كما اذا كان صاحب الثروة منهم مثلاً ينفق من ثروته على المستشفيات أو المدارس أو اغاثة الفقراء والعاجزين أو يرفد ارباب التصانيف العلمية ويمد اصحاب الاختراعات والاكتشافات لابرار نتائج افكارهم وثمرات اجتهادهم مما يكون فيه اسعاد الحالة الاجتماعية أو توسيع نطاق المدارك البشرية . وانظر اين الغني الذي يبذل امواله في مثل هذه المنافع الشريفة ممن ينفقها في الملذات والشهوات والتأنق في الزينة والتعزير الباطل أو يحول قوة غناه الى احتكار اصناف البضائع والمحاصيل واقتطاعها عن اصاغر المتكسبين لينتفع بضرر غيره . هذا اذا لم يتخذ المال عوناً على ارتكاب المنكرات والكبائر كما نراه بين كثيرين من اهل زماننا فلا ريب ان من كان كذلك يعد من ادنى طبقات المجتمع واقلمهم قيمةً بل قيمته تكون قيمةً سلبيةً ووجوده يعد نقصاً في الانسانية لان «قيمة الانسان ما يحسنه» وما للمرء خيرٌ في حياةٍ اذا ما عُد من سقط المتاع

الترام المعلق

لا يخفى ان أكثر مدن اوربا الحافلة بالسكان ولا سيما المدن التجارية والصناعية منها لا تزال طرقها غاصةً بأقدام المارة وآلات النقل والركوب من كل نوع حتى ضاقت بالسالكين ولم يبقَ لهم الا ان يمدوا السكك تحت الارض أو في الجو . وقد حاولوا كلا الامرين فعلاً الا ان الاول فيه من